الأسلوب الخبري وأضربُه

تعريف الخبر: الخبر ما يصح أن يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا.

ركنا الجملة: كل جملة من جمل الخبر لها ركنان: محكوم عليه، وهو المسند إليه، ومحكوم به، وهو المسند، وما زاد على ذلك في الجملة غير المضاف إليه وصلة الموصول فهو قيد. فإذا قلنا: "سافر الصديق" و "الناجح مسرور" فإن الذي حكم عليه بالسفر أو أسند إليه السفر في الجملة الأولى هو "الصديق"، والذي حكم به للصديق أو اسند له هو "السفر". وعلى هذا يكون "الصديق" هو المحكوم عليه أو المسند إليه، ويكون "سافر" هو المحكوم به أو المسند. وركنا الجملة الثانية هما "الناجح" و"مسرور" ، والذي حكم عليه بالسرور أو اسند إليه السرور هنا هو "الناجح"، والذي حكم به للناجح أو اسند له هو "السرور". وعلى هذا يكون "الناجح " هو المحكوم عليه أو المسند إليه، ويكون "مسرور" هو المحكوم به أو المسند. والمسند إليه عادة هو الفاعل، أو نائب الفاعل، أو المبتدأ الذي له خبر، أو ما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها . والمسند هو الفعل التام، أو خبر المبتدأ أو ما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها [1].

أغراض الخبر: الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

1-إفادة المخاطَب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى ذلك الحكم فائدة الخبر.

2-إفادة المخاطَب أن المتكلم عالم بالحكم ويسمى ذلك لازم الفائدة.

فالغرض الأول هنا وهو "فائدة الخبر" يقوم في الأصل على أساس أن من يلقى إليه الخبر، أو من يوجه إليه الكلام يجهل حكمه أي مضمونه، ويراد إعلامه أو تعريفه به. وهذا الغرض الذي يسميه البلاغيون "فائدة الخبر" يتمثل في جميع الأخبار التي يبغي المتكلم من ورائها تعريف من يخاطبه بشيء أو أشياء يجهلها، ومن ذلك مثلا هذا الخبر التاريخي عن

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 43.

معاوية بن أبي سفيان: "أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح، واستكتبه النبي صلى الله عليه وسلم، واستعمله عمر على الشام أربع سنين من خلافته، وتغلَّب على الشام محاربا لعلي أربع سنين، فكان أميرا وملكا على الشام نحو أربعين سنة، وكان حليما حازما". فمثل هذا الخبر قد قصد به إفادة من يلقى إليه بمضمونه، أي بما اشتمل عليه من الحقائق التاريخية عن أول خلفاء الأمويين معاوية بن أبي سفيان، فالغرض من الخبر هنا إذن هو "فائدة الخبر" [1].

أما الغرض الثاني من الخبر فهو ما سماه البلاغيون "لازم الفائدة"، وهو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه انه، أي المتكلم، عالم بحكم الخبر، أي مضمونه مثل : إنّك لتكظم الغيظ، وتحلم عند الغضب، وتعفو مع القدرة، وتصفح عن الزلة، وتستجيب لنداء المستغيث بك. فالمتكلم في هذا المثال لا يقصد منه أن يفيد من يخاطبه شيئا مما تضمنه الكلام من الأحكام التي أسندها إليه، لأن ذلك يعلمه المخاطَب عن نفسه قبل أن يعلمه المتكلم، وإنما يريد المتكلم أن يبين له أنه عالم بما تضمنه هذا الكلام. فالمخاطَب إذن لم يستفد علما بالخبر نفسه، لأنه يعلمه مسبقا، وإنما استفاد إن المتكلم عالما به [2].

وقد يكون القصد من إلقاء الخبر أغراض أخرى، غير الفائدة ولازمها، وهذه الأغراض يستطلعها اللبيب ويلمحها من سياق الكلام، ومن هذه الأغراض ما يلي:

1-إظهار التحسر: كقول أم مريم: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ (آل عمران: 36) فهي تعلم أن الله تعالى عالم بالذي وضعت، ولكنها تتحسر، إذ ولدت أنثى، وكانت تود لو كان المولود ذكرا، ليكون وقفا على خدمة بيت المقدس.

2-**إظهار الضعف:** كقول زكريا عليه السلام يخاطب ربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم :4). فزكريا عليه السلام لا يريد بهذا القول أن

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص45، 46.

[2] المرجع نفسه، ص47، 48.

يخبر الله تعالى بحاله، إذ يعلم أن الله لا يخفى عليه شيء، ولكنه قصد مجرد إظهار ضعفه ونفاذ قوته [1].

3- **الفخر**: كقول عمرو بن كلثوم:

إذَا بَلَغَ الفِطامَ لنَا وليد تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينَا [2].

فعمرو لا يقصد الفائدة ولا لازمها، وإنما يقصد الفخر بقومه [3].

4-**الاسترحام والاستعطاف**: كقول يحي البرمكي يخاطب الخليفة هارون الرشيد:

إن البرامـكَـة الـذيـ ـن رُمَوْ لديك بداهية

صُفْرُ الوجوه عليهمُ خِلَـعُ المذلَّـة باديةٌ [4].

فيحي البرمكي لا يقصد أن يخبر الرشيد بما وصل إليه حاله ، وحال ذوي قرباه من الذل، لان الرشيد هو الذي أمر به، فهو أولى بأن يعلمه، ولا يريد كذلك بأن يفيده أنه عالم بحال نفسه، وذوي قرابته، وإنما يستعطفه، ويسترحمه، ويرجو شفقته، عسى أن يصغي إليه، فيعود إلى البر به والعطف عليه.

5-**التوبيخ: كقولك** : (الربا حرام) لمسلم يتعامل بالربا، فليس المقصود من هذا الخبر إفادة المخاطَب حرمة الربا، لأنه يعلم ذلك بحكم إسلامه، وليس المقصود إفادته أن المتكلم عالم بهذا الحكم، وإنما المقصود من هذا الخبر هو توبيخ المخاطَب على تعامله بالربا، فكان المتكلم يقول: ما ينبغي ل كان تتعامل بالربا وأنت مسلم.

6-**الزجر والعظة**: كقول الواعظ لإنسان غافل عن الآخرة : (الموت حوض وكل الناس وارده) فليس المقصود من الخبر إفادة المخاطَب مضمونه ، لأنه يعلمه، وليس

---

[1] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 18.

[2] عمرو بن كلثوم، الديوان، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص91.

[3] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 18.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1997، 327/5.

القصد إفادته أن المتكلم عالم به، فإن ذلك مما لا يخفى على أحد، وإنما القصد زجره وتقديم الموعظة له، حتى يفيق من غفلته، ويعمل لما بعد موته[1].

أضرب الخبر: على أن الخبر سواء أكان الغرض منه "فائدة الخبر" أو لازم الفائدة لا يأتي على ضرب واحد من القول. وإنما ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطَب عند إلقاء الخبر، والمخاطَب بالنسبة لحكم الخبر، أي مضمونه، له ثلاث حالات هي [2]:

1-أن يكون خالي الذهن من الحكم المراد إفادته إياه، بمعنى انه لم يسبق له علم بمضمونه قبل إلقائه إليه، ومثل هذا المخاطَب يلقى إليه الخبر خلوا من التوكيد، لتمكن معنى الخبر في ذهنه، إذ وجده خاليا، وخلوُّ الذهن عن الشيء يوجب استقراره فيه[3]، على حد قول الشاعر:

أَتاني هواها قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكنا[4].

ويسمى هذا الضرب "ابتدائيا"، لأنه لم يسبق بطلب ولا إنكار .

2-أن يكون مترددا في الحكم المراد إفادته إياه طالبا وقوفه على حقيقة الأمر، ومثل هذا المخاطَب يحسن أي يُلقى إليه الخبر، وعليه مسحة من اليقين، تجلو له الأمر، وتدفع عنه الشبهة، فيؤكد له الخبر بمؤكد واحد، محوًا لتردده[5]، ومن أمثلة هذا الضرب قول السريّ الرفّاء:

إن البناء، إذا ما انهدّ جانبه، لم يأْمَنِ النَّاسُ أنْ يَنْهَدّ بَاقيهِ[6].

---

[1] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 19، 20.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 49.

[3] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 21.

[4] ديك الجن الحمصي ، الديوان ، جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2004، ص 283.

[5] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 21.

[6] السريّ الرفّاء، الديوان، تقديم وشرح كرم البستاني، مراجعة ناهد جعفر، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص457.

ويسمى هذا الضرب "طلبيا" لأنه مسبوق بطلب، إذ إن المخاطَب المتردد طالب بلسان حاله وقوفه على جلية الأمر.

3-أن يكون منكرا للحكم المراد إخباره به معتقدا غيره، ومثل هذا المخاطب يجب تأكيد الخبر له تأكيدا يتناسب مع إنكاره قوة وضعفا*، فتقول: "إني لصادقٌ" لمن ينكر صدقك، و" والله إني لصادق" لمن يزداد إنكاره [1]. ويسمى هذا الضرب من الخبر «إنكاريا".

مؤكدات الخبر: الأدوات التي يؤكد بها الخبر كثيرة منها: إنّ، ولام الابتداء، وأمَّا الشرطية، والسين، وقد، والقسم، ونونا التوكيد الثقيلة والخفيفة، والحروف الزائدة، وأحرف التنبيه [2].

* وفي هذا الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر، على حسب درجة إنكاره، من جهة القوة والضعف.

[1] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 22.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 51.